شرح قصيدة وزائرتي كأن بها حياء

المتنبي سيد الكلمة الأدبية حيث يستطيع أن يصور ما في نفسه كما يُصور الآخرون ما يجري خارجًا، وواحدة من أشعاره قد سخرها المتنبي للكلام عن الحمى التي أصابته وما يأتي شرح القصيدة بشكل تفصيلي:

- **وَزائِرَتي كَأَنَّ بِها حَياءً**
  فَلَيسَ تَزورُ إِلّا في الظَلامِ

الآن يتكلم المتنبي عن المصاب الذي أصابه والألم الذي حلّ به وكأنّه شيء عظيم لا يقدر على الخلاص منه ولا ينتهي فيقول أنّ هذه الحمى التي أصابته لا تأتي لتنغض عليه عيشه سوى في الليل وهنا يشبهها بالفتاة الحيية الخجولة التي لا تأتي عند محبها إلا في الليل لما تنام العيون وتغفو.

- **بَذَلتُ لَها المَطارِفَ وَالحَشايا**
  فَعافَتها وَباتَت في عِظامي

ثم يتكلم الشاعر عن أنواع الفراش وأنواع البسط الذي وفرها لتلك الزائرة حتى تكون بعيدة عنه ولكنها لفرط شرها لم تقبل إلا ان تبيت في عظامه وتوجعه الفراش فالحمى هي من أصعب الآفات التي يمكن أن تحل بالإنسان فتدمر له صحته وقوته.

- **يَضيقُ الجِلدُ عَن نَفسي وَعَنها**
  فَتوسِعُهُ بِأَنواعِ السِقامِ

إنّ الذي يشعر بالحمى والحرارة يكاد جلده ينشق عنه لفرط ذلك الألم وقسوته فيحس كأنّما يصعد في السماء وكأنه يرغب بأن يخلع جلده لفرط تلك الحرارة حتى يكاد الجلد يضيق عنه وعن الحمى التي أصابته، ولكن لفرط خبث تلك الحمى فإنّها تحاول أن تجد طريقة أخرى لتوسع لها مكانًا فيكون من خلال زيادة الأمراض والأسقام.

- **إِذا ما فارَقَتني غَسَّلَتني**
  كَأَنّا عاكِفانِ عَلى حَرامِ

منذ الصورة الأولى التي ابتدأها المتنبي في الكلام عن الحمى فقد شبهها بالمرأة الخجولة التي تزور حبيبها في غسق الليل حتى لا يراها أحد، فيكمل الصورة في هذا البيت أنّ الحمى لما تخف عنه وبعد أن تُفارقه يُغسلونه وهو هنا يشبهها باغتسال الرجل لما يُفارق المرأة.

- **كَأَنَّ الصُبحَ يَطرُدُها فَتَجري**
  مَدامِعُها بِأَربَعَةٍ سِجامِ

ولمّا يشق الفجر الليل وتنتهي الظلمة تبدأ الحمى بالتسلل مبتعدة عن المتنبي فمن المعروف أن الحمى تكون رفيقة الليل وفي النهار ينشط الإنسان وتخف عنه، ولكن مع ذلك هي تُعاني من ذلك الفراق وتألم له ألمًا عظيمًا وتحزن عليه وتبكي بكاء كثيرًا لأنّها ترفض فراق المتنبي ذلك الشخص الذي تحب.

- **أُراقِبُ وَقتَها مِن غَيرِ شَوقٍ**
  مُراقَبَةَ المَشوقِ المُستَهامِ

إنّ الإنسان يراقب الوقت في حالةٍ واحدة لمّا يكون منتظرًا شيئًا ما يحبه ويألفه، والآن المتنبي يُشبه حاله بحالة الرجل الذي يراقب الشيء الذي يحب ويتصبر من اجل رؤيته، ومع ذلك فهو ليس مشتاق لها ولا مترقب لرؤيتها ولكن ما باليد حيلة فالإنسان هكذا يحيا ما بين رجاء وخوف.

- **وَيَصدُقُ وَعدُها وَالصِدقُ شَرٌّ**
  إِذا أَلقاكَ في الكُرَبِ العِظامِ

إنّ من أعظم الصفات التي يتصف بها الإنسان ويدعو لها الناس عامة القريب والبعيد هي صفة الصدق، والمتنبي الآن يعلم حقيقة صدق الحمى فهي صادقة الوعد تأتي إليه في كل ليلةن ولكن على عكس ما قد يظنه البعض فإنّ صدق المرض هو صدق أليم شديد على النفس لا يتمناه أي إنسان.

- **أَبِنتَ الدَهرِ عِندي كُلُّ بِنتٍ**
  فَكَيفَ وَصَلتِ أَنتِ مِنَ الزِحامِ

لما يضيق الأمر بالإنسان وينزل به مصاب شديد أو حزن أو حتى ألم فإنّه لا يكتفي بذلك الألم أو ذلك المصاب بل يبدأ بالتفتيش عن مصائبه كلها، ولمّا جرد المتنبي مصائبه وعلم كثرتها تعجب كثيرًا أن كيف بقي للحمى متسع تصل من خلاله إليه بعد كل ما حل به من الأحزان والأسقام.

- **جَرَحتِ مُجَرَّحاً لَم يَبقَ فيهِ**
  مَكانٌ لِلسُيوفِ وَلا السِهامِ

عادة ما يألم الناس من طعنات السيوف او من جروح السهام ولكن يختلف الحال الآن بالنسبة للمتنبي، فإنّ جسده لم يعد به متسع لسيف ولا لسهم لكثرة الآلام والجراحات التي ألحقتها الحمى به، فبدلًا أن يكون في الحرب بين دقات السيوف الآن هو طريح الفراش من أثرها.

- **أَلا يا لَيتَ شَعرَ يَدي أَتُمسي**
  تَصَرَّفُ في عِنانٍ أَو زِمامِ

الآن إنّ هذا البيت الشعري هو بمثابة الكناية، فهو يتساءل هل يمكن أن يصح ويعود إلى ما كان عليه من القوة والمنعة لما كان يجول الرض على الخيل ويسافر على الإبل، وهو الآن لا مستقر له سوى الفراش وهذا من باب التعجب الذي يشعر به الإنسان لما ينزل به مرض ما.